" دراسة تحليلية لفكر مارك أنطوان جوليان كأحد رواد التربية المقارنة في فرنسا"

"An Analytical Study of Marc Antoine Jullien as One of the Pioneer Thinkers of Comparative Education in France"

إعداد

رضوى جمال عبد الناصر علي محمود

معيدة بقسم التربية المقارنة والإدارة التربوية

مقدمة:

تُعد التربية المقارنة أحد العلوم التربوية التي لها أهمية كبرى في العالم اليوم،نظرًا لما تقوم به من إثراء النظرية التربوية والفكر التربوي،إذ تعمل على الاستفادة من التجارب المختلفة في تطوير نظم التعليم المختلفة،وحل مشكلاتها،وتحديثها؛ فضلًا عن أنها تساعد على فهم الآخرين وفهم ثقافات الدول الأخرى،فهي ليست علم الفهم والتفكير فقط،بل هي أيضًا حقل دراسة متطلع نحو المستقبل.

وتبرز أهمية التربية المقارنة أيضًا في أنها تسمح بمقارنة الأشياء التي تنتمي إلى الواقع التعليمي،إذ تُستخدَم المقارنة لتحليل وتفسير الأحداث التعليمية في ضوء السياق سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي،ويمكن تصنيف هذه الأشياء إلى عدة فئات: تلك التي تتعلق بعمل المعلمين وعلم التربية،مثل: الممارسات،والأساليب،ومحتوى الحصص،واستخدام التكنولوجيا،وتقييم الطلاب؛ وتلك التي توجد خارج حجرات الدراسة،مثل: البرامج،وتدريب المعلمين،وتحديد الأهداف التعليمية؛ وتلك التي تؤثر على المدرسة،مثل: الوضع السياسي،والسياق الاقتصادي،والبطالة،ودور وسائل الإعلام،والآباء،والأيديولوجيات المختلفة،وبالتالي يمكن القول إن منهجية المقارنة تقوم على السياق العام المتمثل في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية(1).

وللتربية المقارنة أهمية كبرى في فرنسا،ولقد ظهرت مكانتها في الجامعات الفرنسية حينما أُدخلت العلوم التربوية إلى الجامعة الفرنسية في عام 1958 مع إنشاء السوربون،بناء على اقتراح البروفيسور موريس دوباس (2)Maurice Debesse،فضلًا عن دور المؤسسات الفرنسية في مجال التربية المقارنة،مثل الجمعية الفرنكوفونية للتربية المقارنة -Associa tion Francophone d'Education Comparée (AFEC)،والرابطة الفرنسية للتعليم والتبادل المقارنAssociation française d›éducation comparée et des› échanges (A.F.D.E.C.E)،وغيرهما،والمجلات،مثل مجلة "Repères"،والمجلة

الفرنسية لعلم التربية "Revue Française de Pédagogie"،والمجلة الفرنسية للتربية المقارنة "Raisons،Comparaisons،Educations"،والمؤتمرات،مثل المؤتمر العالمي الخامس للتربية المقارنة""Le V Congrès mondial d'éducation comparée"،هذا المؤتمر الذي حقق نجاحًا ملحوظًا.

ولقد مرت التربية المقارنة في فرنسا بالعديد من المراحل؛ مرحلة النشأة،ومرحلة النقل والاستعارة،ومرحلة المنهجية العلمية،ومرحلة القوى والعوامل الثقافية،وتعتبر مرحلة النشأة بداية مراحل التربية المقارنة في فرنسا التي تميزت بتواجد التربية المقارنة في ذلك الوقت،إلا أنها لم تكن معروفة بهذا المصطلح،إلى أن جاء مارك أنطوان جوليان الباريسي ليطلق مصطلح التربية المقارنة لأول مرة عام 1817م في عمله "تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة"،كما لم يكن هناك استبيانات،أو نظام دولي يساعد المؤسسات التعليمية على تحسين نظامها التعليمي،أو معهد عام للتعليم مخصص لإعداد معلمين أكفاء،بالإضافة إلى عدم تطرق أحد إلى طريقة الوضعية Positivism أو المنهج الكمي في بحوث التربية المقارنة حتى ظهر جوليان.

مشكلة البحث:

بالرغم من أهمية الرائد الفرنسي مارك أنطوان جوليان،واهتماماته التربوية،وإسهاماته الفكرية في التربية المقارنة،إلا أنه لم يتناوله أحد أو يتطرق إلى اهتماماته التربوية،أو إسهاماته الفكرية بالنقد والتحليل،كما لم يتناول أحد المرحلة التي ظهر بها وهي مرحلة النشأة،أو سمات هذه المرحلة،أو أبرز العلماء الذين ظهروا خلال هذه المرحلة،أو سياق هذه المرحلة،حيث كان يتم ذكر مارك أنطوان جوليان ولكن دون تعمق له أو لاهتماماته التربوية،أو لإسهاماته الفكرية بالنقد والتحليل أو للمرحلة التي نشأ بها،أو علماءها،أو سياقها[3].

وعلى ضوء ما سبق يتضح عدم تناول أحد للرائد الفرنسي مارك أنطوان جوليان الباريسي بتعمق،أو اهتماماته التربوية،أو إسهاماته الفكرية بالنقد والتحليل،أو مرحلة النشأة التي ظهر بها،أو سمات هذه المرحلة،أو أبرز العلماء الذين ظهروا خلال هذه المرحلة،أو سياق هذه المرحلة،والتي قد ترجع إلى عائق اللغة حيث أن اللغة الفرنسية

لا تعتبر من اللغات المتداولة بكثرة عالمياً أو لقلة عدد المفكرين الفرنسيين في مجال التربية المقارنة.

لذلك يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا؟
2. ما علماء مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا؟
3. من مارك أنطوان جوليان وما اهتماماته التربوية؟
4. ما إسهامات مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة؟
5. ما نتائج مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا؟

هدف البحث:

يسعى البحث إلى:

1. **تحديد أهم سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا.**
2. **معرفة علماء مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا.**
3. **معرفة مدرسة مارك أنطوان جوليان واهتماماته التربوية،وإسهاماته.**
4. **التوصل إلى سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا.**

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1. أنها قد تفيد في تطوير دراسات التربية المقارنة في مصر.
2. قد تفيد هذه الدراسة الطلاب والباحثين والمهتمين بالتربية المقارنة.

حدود البحث:

يعرض البحث فيما يلي للحدود المكانية،والحدود الموضوعية،وهي:

- **الحدود المكانية:**

وتتمثل في مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا،وقد تم اختيارها نظرًا لأنها تُعد من أقدم مدارس التربية المقارنة في العالم،ومساهمة الكتاب الفرنسيين بكتاباتهم النقدية

والفكرية في إثراء التخصص،ودور المنظمات الفرنسية العالمية في تطوير التربية المقارنة في فرنسا والعالم.

- **الحدود الموضوعية:**

تناول البحث مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا من خلال المحاور التالية:

أولًا: سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا.

ثانيًا: علماء مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا.

ثالثًا: الرائد مارك أنطوان جوليان واهتماماته التربوية.

رابعًا: إسهامات مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي من خلال: وصف،وتحليل،وتفسير المعلومات التي تم الوصول إليها في هذه الفترة،بالإضافة إلى منهجية فوكو وفيركلف من خلال البحث عن المسكوت عنه لمرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا،وإسهامات الرائد مارك أنطوان جوليان في إثراء التخصص.

مصطلحات البحث:

يعرض البحث المصطلحات الآتية:

1 – التربية المقارنة L'éducation comparée:

تُعرف التربية المقارنة أنها: «جزء من نظرية التعليم التي تتعلق بتحليل وتفسير الممارسات والسياسات التعليمية المختلفة في مختلف البلدان والثقافات» [4].

ويعرفها مارك أنطوان جوليان الباريسي Marc – Antoine Jullien De Paris أنها: "الدراسة التحليلية للتربية في البلاد المختلفة بهدف الوصول إلى تطوير النظم القومية للتعليم وتعديلها بما يتماشى مع الظروف المحلية".

ويقول جوليان أيضًا: "إن التربية شأنها شأن العلوم والفنون الأخرى تتكون من حقائق وملاحظات،ومن الضروري ترتيب هذه الحقائق والملاحظات في جداول تحليلية تسمح

بالمقارنة بينها لنستنتج منها بعض المبادئ والقواعد المحددة،بحيث تصبح التربية علمًا إيجابيًا بدلًا من تركها نهبًا للآراء الضيقة المحدودة،وأصحاب المصالح الذين يسيطرون عليها" [5].

وتعرف التربية المقارنة وفقًا لدومنيك جرو Dominique Groux ولوييه بورشيه Louis Porcher على أنها: "نهج وتخصص؛ فهي نهج يسمح بمقارنة الأشياء التي تنتمي إلى الواقع التعليمي. وتصنف هذه الأشياء إلى عدة فئات: تلك التي تتعلق بعمل المعلمين وعلم التربية،مثل: الممارسات،والأساليب،ومحتوى الحصص،واستخدام التكنولوجيا الجديدة،وتقييم الطلاب؛ وتلك التى توجد خارج الفصول الدراسية،مثل: البرامج،وتدريب المعلمين،وتحديد الأهـداف التعليمية؛ وتلك التى تؤثر على المدرسة،مثل: الوضع السياسي،والسياق الاقتصادي،والبطالة،ودور وسائل الإعلام،والآباء،والأيديولوجيات المختلفة. كما تُعد تخصصًا لأنها تشكل تخصصًا فى علوم التربية،شأنها شأن الأدب المقارن،والقانون المقارن،والسياسة المقارنة. ويستخدم كل من هذه التخصصات المقارنة لاستنتاج المشكلة المشتركة،وتحليل وتفسير العناصر والاختلافات المشتركة وفقًا للبيانات المتنوعة مثل السياق،والتيارات الأدبية،والعادات،والنظام السياسي،والأيديولوجيات"[6].

ويمكن تعريف التربية المقارنة إجرائيًا على أنها: علم متداخل التخصصات يهتم بدراسة الظواهر التربوية والتعليمية،بغرض تحديد أوجه التشابه والاختلاف والتميز في ضوء السياق العالمي والسياقات الثقافية المحلية.

مخطط البحث

سعياً للإجابة عن تساؤلات البحث ولتحقيق الهدف منه،واتساقاً مع المنهجية العلمية المتبعة،فإن البحث الحالي يسير وفق الخطوات التي توضحها المحاور التالية: المحور الأول: الإطار النظري للبحث،والمحور الثاني: مقدمة عامة عن الرائد مارك أنطوان جوليان واهتماماته التربوية،والمحور الثالث: إسهامات مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة،المحور الرابع: سياق مرحلة النشأة في فرنسا،المحور الخامس: نتائج البحث،ومناقشته.

المحور الأول: الإطار النظري:

ويتضمن هذا المحور سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا،وعلماءها،وفيما يلي توضيح ذلك: –

أولًا: سمات مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا:

كانت التربية المقارنة موجودة في ذلك الوقت،ولكنها لم تكن معروفة بهذا المصطلح،إلى أن جاء مارك أنطوان جوليان الباريسي ليطلق مصطلح التربية المقارنة لأول مرة عام 1817م في عمله «تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة».

ولم يكن هناك استبيانات،أو نظام دولي يساعد المؤسسات التعليمية على تحسين نظامها التعليمي،أو لجنة خاصة للتعليم يكون عددها قليل،وتتكون من أشخاص أكفاء،أو معهد عام للتعليم مخصص لإعداد معلمين أكفاء،ولم يكن أحد قد تطرق إلى طريقة الوضعية Positivism أو المنهج الكمي في بحوث التربية المقارنة حتى ظهر جوليان.

بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك اهتمام بالتربية في ذلك الوقت،ولم يكن أحد يهتم بأنواع التربية الثلاثة: التربية البدنية،والتربية الأخلاقية،والتربية الفكرية،كما لم يكن هناك جمع بين النظرية والتطبيق في التربية،ولم يكن التعليم متطور في فرنسا الأمر الذي جعل جوليان وغيره من علماء التربية الفرنسيين الاستفادة من تعليم الدول الأخرى لتطوير وتحسين التعليم في بلدهم.

ثانيًا: علماء مرحلة نشأة التربية المقارنة في فرنسا:

وظهر في هذه الفترة العديد من العلماء مثل مونسكيو Montesquieu،ونيكولا دو كوندورسيه Nicolas de Condorcet،وجيوم أنطوان أوليفييه Guillaume – Antoine Olivier،سيزار أوجست باسيه César Auguste Basset.

أولًا الكاتب الفرنسي مونسكيو (Montesquieu 1689 – 1755)،فيلسوف القرن الثامن عشر،الذي ولد عام 1689 في Château de la Brède،في جيروند Gironde،بالقرب من بوردو Bordeaux،في عائلة تنتمي إلى طبقة النبلاء،والذي توفى عام 1755 ودفن في كنيسة سانت سولبيس Saint Sulpice في باريس ([7]).

وأما فيما يتعلق بعمله روح القوانين "de l'Esprit des Lois" الذي نشره عام 1748،تحدث مونسكيو في هذا العمل عن التربية المقارنة دون أن يذكر مصطلح التربية المقارنة بشكل مباشر من خلال تناوله لفكرة المقارنة،ففي هذا العمل الذي يحتوي على العديد من الكتب،قام مونسكيو بوضع المبادئ الأساسية التي تحكم تاريخ المجتمعات السياسية،فلقد أوضح أولًا بأن هناك أربعة محددات رئيسية تميز الإنسان،هي: فكرة وجود إله،والبحث عن الغذاء،والرغبة في التكاثر،والرغبة في العيش في المجتمع؛ هذه هي القوانين الطبيعية الأربعة للإنسان التي سبقت القوانين السياسية (8).

وأطلق على العوامل الآتية «روح القوانين»،وهي كالتالي:

1 – النظام السياسي المطلوب،مثل الديمقراطية،والملكية،والاستبداد.

2 – بنية البلد،مثل المناخ،والجودة،ومساحة الأرض.

3 – عادات الشعوب،مثل الدين،والتجارة،وهكذا...

كما ميز بين ثلاثة أنواع من الحكومات،هي: الجمهورية،والملكية،والاستبداد. فلقد عرف الجمهورية بأنها تلك التي يتمتع فيها الشعب كله أو جزء منه فقط بسلطة ذات سيادة. والجمهورية هي إما أرستقراطية (أي يُعد جزء من الشعب هو الحاكم)،أو ديمقراطية (أي يُعد جميع الشعب هو الحاكم). وعرف الملكية بأنها تلك التي يحكم فيها شخص واحد،ولكن من خلال قوانين ثابتة. وأخيرًا عرف الاستبداد بأنه ذلك الذي يقود فيه شخص واحد دون قانون أو قاعدة جميع الأشياء من خلال إرادته وأهواءه.

ولم يميز مونسكيو بين الثلاثة أنواع من الحكومات فقط،وإنما استنتج أيضًا مبدأ كل حكومة من هذه الحكومات؛ فلقد أوضح أن الوسطية هي المبدأ الأساسي للأرستقراطية،والفضيلة هي مبدأ الديمقراطية،والشرف هو مبدأ الملكية،والخوف هو مبدأ الاستبداد.

وأوضح مونسكيو أيضًا أنواع الاقتراع المختلفة،وهي: إما بالصدفة (المصير/ القدر) أو بالاختيار،سرًا أو علانيًة. بالإضافة إلى تعريفه للحرية السياسية،وتوضيحه ضرورة عدم امتلاك نفس الشخص،أو نفس المؤسسة الثلاثة أنواع من السلطات في الدولة:

السلطة التشريعية،والسلطة التنفيذية،والسلطة القضائية،لأنه إذا لم يتم ذلك،لن يكون هناك حرية. كما أن الإحساس بالأمان يُعد شرطًا أساسيًا للحرية. وبالتالي،يجب فصل الثلاث سلطات.

وطالب مونسكيو بحرية الفكر،كما درس العلاقات التي تربطها القوانين بالمظهر المادي للبلد (مناخه،وأراضه،إلخ)،وضاعف الفرضيات حول العلاقات بين المناخ،وعلم وظائف الأعضاء،وعلم النفس لدى الشعوب.

وفي نهاية المجلد الأول،حدد مونسكيو الروح العامة للشعب،فهي نتيجة للعديد من العناصر: «العديد من الأشياء تحكم الرجال: المناخ،والدين،والقوانين،وحدود الحكومة،وأمثلة على الأشياء الماضية،والأخلاق،والطرق؛ التي تتكون منها الروح العامة التي تنتج.

ومن خلال ما سبق يتضح تناول مونسكيو للتربية المقارنة في عمله «روح القوانين» من خلال تناوله لفكرة المقارنة،ولكن دون ذكر مصطلح التربية المقارنة بشكل مباشر،حيث تحدث في هذا الكتاب عن الحكومات وحدد أنواعها المختلفة (الجمهورية،والملكية ،والاستبداد)،وأوضح أن أي نوع من القوانين يتوافق مع كل منها وقام بتحليل مقارن للقوانين.

ثم بعد ذلك ظهر الكاتب والفيلسوف الفرنسي نيكولا دو كوندورسيه Nico-las de Condorcet (1743 – 1794)،الذي ولد في السابع عشر من سبتمبر عام 1743،وتوفى عام 1794 (9).

واقترح كوندورسيه عدة إصلاحات للنظام التعليمي وقدم نفسه أمام المجلس التشريعي للدفاع عن مشروع قانونه المتعلق بإنشاء التعليم العام،حيث انتخب في المجلس التشريعي عام 1791 – 1792 الفترة التي تميزت بأعماله في التعليم العام وكان من أهم أعماله:

عمله خمس ذكريات حول التعليم العام Cinq Mémoires sur l›instruction publique،(1791) إن هذا النص نشره كوندورسيه في العمل الدوري الذي بعنوان

«مكتبة عامة أو تحليل منطقي للأعمال الفرنسية والأجنبية الرئيسية،عن السياسة بشكل عام،والتشريع،والمالية،والشرطة،والزراعة والتجارة بشكل خاص،والقانون الطبيعي والقانون العام" "-Bibliothèque de l›homme public ou analyse raison née des principaux ouvrages français et étrangers،sur la Politique en général،la Législation،les Finances،la Police،l›Agriculture et le Commerce en particulier،et sur le Droit naturel et public"،وينقسم هذا العمل إلى خمسة مجلدات،تم نشرهم جميعًا في عام 1791،وهم كالتالي (10):

الأطروحة الأولى: طبيعة وموضوع التعليم العام،وتشمل:

1 – واجب المجتمع تجاه الشعب بتعليم عام.

2 – واجب المجتمع بتعليم عام يناسب مختلف المهن.

3 – واجب المجتمع بتعليم عام كوسيلة لإتقان الجنس البشري.

4 – أسباب إنشاء مزيد من المستويات في التعليم المشترك.

5 – ضرورة اقتصار التربية العامة على التعليم.

6 – ضرورة مشاركة المرأة في التعليم الممنوح للرجال.

الأطروحة الثانية: تعليم مشترك للأطفال.

الأطروحة الثالثة: التعليم المشترك للرجال.

الأطروحة الرابعة: التعليم المتعلق بالمهن.

الأطروحة الخامسة: التعليم المتعلق بالعلوم.

ويتضح مما سبق تناول كوندورسيه للتربية المقارنة من خلال عمله خمس ذكريات حول التعليم العام الذي نشره عام 1791،ولكن دون ذكر المصطلح مباشرة،حيث تناول موضوعات التعليم العام،والتعليم المشترك للأطفال،والتعليم المشترك للرجال،والتعليم المتعلق بالمهن،والتعليم المتعلق بالعلوم.

ثانيًا عمله تقرير ومشروع مرسوم حول التنظيم العام للتعليم العام Rapport et projet de décret sur l’organisation générale de l’instruction publique،عرف

كوندورسيه التعليم في هذا العمل بأنه جزءًا من التربية العامة التي يشملها كليًا،كما أوضح أهمية التعليم في أنه يجعلنا مستعدين لشغل الوظائف الحكومية [11].

وتناول كوندورسيه Condorcet في هذا الكتاب هدفين التعليم الوطني/ القومي،وهما كالتالي:

1 – توفير لكل مواطن سهولة إتقان صناعته،وقدرته على شغل الوظائف الاجتماعية،وتنمية مواهبه،وبالتالي إنشاء المساواة بين المواطنين،بل المساواة السياسية.

2 – تنمية الجوانب الفيزيائية،والفكرية،والأخلاقية في كل جيل.

وأوضح أن هناك شيء في غاية الأهمية وهو التوزيع،والتنظيم العام لمؤسسات التعليم العام،ويجب أن يحدث ذلك في كل شيء خاص بالتعليم،مثل طريقة التدريس،وسلطة الآباء والمعلمين،واجتماع التلاميذ في المدارس،ووسائل التوحد في التعليم،وتنمية الجوانب الفيزيائية والأخلاقية،بالإضافة إلى ضرورة تحديد أماكن المؤسسات،وتكوين الكتب الأساسية.

ويكمن أول شرط لأي تعليم في عدم تعليم إلا الحقائق،ويجب أن يكون التعليم مستمر حتى وإن خرج الأفراد من المدارس،كما يجب أن يكون لجميع المواطنين،ويجب عدم الاعتماد على طريقة واحدة في التدريس،وإنما التنوع فيها.

وميز كوندورسيه بين الخمس مراحل للتعليم،وهم: المدارس الابتدائية،والمدارس الثانوية،والمعاهد،والجامعات،والمجتمع القومي للعلوم والفنون.

ويتضح مما سبق أهمية عمل كوندورسيه الثاني الذي بعنوان تقرير ومشروع مرسوم حول التنظيم العام للتعليم العام،والذي تناول فيه أهمية التعليم والتعليم القومي،وأهمية التوزيع والتنظيم العام لمؤسسات التعليم العام،بالإضافة إلى تمييزه بين الخمس مراحل للتعليم،وهم: المدارس الابتدائية،والمدارس الثانوية،والمعاهد،والجامعات،والمجت مع القومي للعلوم والفنون.

ثم ظهر في هذه الفترة الرحالة وعالم الطبيعة وعالم الحشرات الفرنسي جيوم أنطوان أوليفييه (Guillaume – Antoine Olivier 1756 – 1814) الذي قام برحلات من 1793 حتى عام 1797 في عدد من أقاليم الدولة العثمانية وكان من أهم أعماله:

Voyage dans l'Empire Othman،l'Egypte et la Perse (1800).

ولد جيوم أنطوان أوليفييه في التاسع عشر من يناير عام 1756،وتوفي في الأول من أكتوبر عام 1814،،ودرس الطب في كلية الطب في مونبولييه Montpellier،واكتشف التاريخ الطبيعي من خلال الاتصال ببيير ماري أوجست بروسونيه -Pierre Marie Au guste Broussonet) 1761 – 1807)،ومارس الطب في مسقط رأسه،ولكنه وجد أن هذه الوظيفة غير مثيرة للاهتمام وليست مجزية للغاية،ثم قام جان بابتيست جيجو دورسي Jean – Baptiste Gigot D›Orcy،صاحب أغنى مجموعة من المعادن والحشرات،بستأجار أوليفييه للذهاب وجمع الحشرات من هولندا وبريطانيا العظمى وبلدان أخرى [12].

وسمحت له هذه الوظيفة بكتابة مقالات عن الحشرات والعناكب في الموسوعة المنهجية (1789 – 1825)،وبعد ذلك كتابة عمله الرائع حول الخنافس (علم الحشرات أو التاريخ الطبيعي للحشرات،بصفاتها العامة والخاصة،ووصفها،1789 – 1808).

ثم قام برحلة طويلة لمدة ست سنوات في الشرق الأوسط،وزار على وجه الخصوص الإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس ومصر،وجمع مجموعة كبيرة التي يتم الاحتفاظ بها اليوم في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في باريس (جزء صغير في متحف إديمبور Édimbourg)،وعاد إلى فرنسا في عام 1798.

ثم بعد ذلك أصبح عضوًا في أكاديمية العلوم في باريس في السادس والعشرين من مارس عام 1800،وبعد ذلك بقليل أصبح أستاذًا في علم الحيوان في المدرسة البيطرية في ألفور Alfort.

وفي عام 1807،نشر كتابًا عن رحلته التي قام بها تحت عنوان "رحلة في الإمبراطورية العثمانية ومصر وبلاد فارسVoyage dans l›Empire Ottoman،l›Égypte et la Perse" ""،تحدث في هذا الكتاب عن مصر التي قام بوصفها بأنها البؤرة المركزية لتجارة جميع الأمم،بالإضافة إلى أنه تحدث عن عظمة نهر النيل،والأهرامات. كما تحدث عن سوريا التي تتميز بتنوع منتجاتها،ومناخها،وتربتها. وتحدث أيضًا عن

بابل،وبلاد فارس. ثم تحدث عن رحلته إلى القسطنطينية،وفي رحلته إلى الإمبراطورية العثمانية،ومصر،وبلاد فارس،تحدث فيهما عن التجارة،والزراعة،والتاريخ الطبيعي،والفيزياء العامة،والجغرافيا،والطب. بالإضافة إلى وصفه للمقابر الأوروبية،والمقابر الأرمينية [13].

ويتضح مما سبق قيام جيوم أنطوان أوليفييه برحلات إلى الإمبراطورية العثمانية،ومصر،وبلاد فارس،والتحدث عن ذلك في كتابه الذي نشره عام 1807،ولكنه اكتفى بمجرد الوصف دون نقل أو استعارة ما وجده في هذه البلدان للاستفادة من ذلك في تطوير بلده فرنسا.

ثم ظهر أيضًا سيزار أوجست باسيه César Auguste Basset،الفيلسوف وعالم التربية الفرنسي،الذي ولد في الثاني من إبريل عام 1760،وتوفي في باريس في الرابع والعشرين من نوفمبر عام 1828م [14].

كانCésar Auguste Basset مديرًا في مدرسة L'Ecole Normale،ثم في Collège Charlemagne،ثم درس في كلية سوريز Collège de Sorèze،واهتم بالقضايا التربوية وخاصة التعليم المتبادل الذي كان منتشرًا بشكل كبير في ذلك الوقت،وأصبح المدافع المتحمس لنظام لانكستر Lancaster،وأسس مع كارنو Car-not جمعية لتحسين التعليم الابتدائي،ثم أصبح أستاذًا وسكرتيرًا للكلية في أكاديمية أورليان 15)Orléans).

وأرجع كل من كروسلي،وواتسون Watson،Crossley عام 2003 أصول التربية الدولية إلى باسيه،أستاذ الأدب الفرنسي الذي أصبح مديرًا للتعليم في Ecole Nor-male في باريس [16].

ويرجع Epstein أصول التربية الدولية إلى Basset عام 1808م [17]. وفي عام 1808م،برهن الفيلسوف الفرنسي باسيه على إنه عند جمع المعلومات حول نظم التعليم الأجنبية،لابد من تقييم الرجال والأشياء وفقًا للحقائق الحقيقية،وليس وفقًا للنظم المكتوبة للخطط المضاربة [18].

وفي عام 1808م،نشر سيزار أوجست باسيهCésar Auguste Basset كتابًا بعنوان ""مقالات حول تنظيم بعض أجزاء التعليم العام؛ أو تأملات في جميع مفتشين الجامعات والأكاديميات،حول الأسبيران والمدرسة العادية،والحاجة إلى ذلك في البلدان الأجنبية،والملاحظات المتعلقة بالتربية والتعليم بشكل عام [19].

وبالرغم من طول العنوان وتعقيده،إلا أن الكتاب يتكون من 97 صفحة فقط. وتناول هذا الكتاب أهمية عمل ملاحظات عن التربية والتعليم بشكل عام في البلدان الأجنبية. ويُعد هذا العمل قبل عمل جوليان ببعض السنوات القليلة.

كتب باسيه هذا العمل إلى السيد فونتان Le Comte de Fontanes،رئيس الجهاز التشريعي وكبير معلمي الجامعة الإمبراطورية،لعرض أفكاره،ولاقتراح وجهات نظره فيما يتعلق بالرحلات التي قام بها في البلدان الأجنبية منذ خمسة عشر عامًا في المدرسة العسكرية في سوراز Sorèze في فرنسا معتمدًا على طرق عملية ومؤكدة للملاحظة،والمقارنة،وللحكم على ما يتناسب مع فترة الشباب آخذًا في الاعتبار الجوانب الجسدية،والفكرية،والأخلاقية.

- وتضم «مقالات حول تنظيم بعض أجزاء التعليم العام» ثلاثة مقالات هما كالآتي:
- المقالة الأولى حول "مفتشي الجامعات والأكاديميات بشكل عام":
- والمقالة الثانية حول "الطامحين والمدرسة العادية للجامعة"
- والمقالة الثالثة حول "فائدة عمل ملاحظات تشمل التربية والتعليم بشكل عام في البلدان الأجنبية".

وبناء على ما سبق يتضح ظهور العديد من الشخصيات في هذه الفترة قبل الرائد مارك أنطوان جوليان الباريسي،ولكنهم تناولوا التربية المقارنة دون ذكر المصطلح بشكل مباشر،أو القيام بتقييم الطريقة لما يمكن استعارته من الثقافات الأخرى لجعل أنظمة التعليم أفضل من خلال استبيانات تكون سريعة وسهلة من أجل الحصول على النتائج المرجوة.

المحور الثاني: مقدمة عامة عن الرائد مارك أنطوان جوليان واهتماماته التربوية:

ويتضمن هذا المحور مقدمة عامة عن الرائد مارك أنطوان جوليان،واهتماماته التربوية،وفيما يلي توضيح ذلك: –

أولًا: مقدمة عامة عن الرائد مارك أنطوان جوليان:

ولد مارك أنطوان جوليان عام 1775م في عائلة من الطبقة المتوسطة البرجوازية وتوفي عام 1848م،وتلقى تعليمه الأول في الريف من قبل والدته وفقًا لمبادئ روسو Rousseau ثم في باريس من قبل والده،وتأثر جوليان بمختلف التيارات الفكرية لعصر التنوير،وبالفلسفات المؤكدة للكمال الإنساني،وصوت الضمير الداخلي،ووجود العقل،كما تأثر بأفكار روسو Rousseau،ومابليMably،وكوندورسيه Con-dorcet.

وفي السنوات التي سبقت الثورة الفرنسية كان جوليان ضد نظام الحكم المطلق الملكي،وكان يندد بتقسيم المجتمع إلى طبقات،وأراد إنقاذ الجمهورية من خلال توحيد الشعب،وتحسين مصير الفقراء؛ ولذلك كان متعاطف مع معهد Pestalozzi الذي كان يرحب بأطفال كل من الفقراء والأغنياء،وفي عام 1794،تم تعيينه سكرتيرًا للجنة التعليم العام المسئولة عن إعداد خطط "التعليم العام" أو "التعليم الوطني"،إلا أنه لم يشارك في هذه الأعمال [20].

وبالرغم من نقد جوليان للتربية في عصره،إلا أنه اعتبرها الوسيلة الوحيدة للارتقاء بالإنسان،وتحسين المجتمعات،وازدهار الدول،وخلال الفترة من 1801 إلى 1819،كرس جوليان كل طاقته لقضايا التربية: ففي عام 1801،قام بوضع خطة تربوية للمدارس العسكرية؛ وفي عام 1808،نشر مقالته العامة عن التربية؛ وفي عام 1810،قام بدراسة معهد Pestalozzi،وبعد عدة سنوات،قام بنشر نظريات Pestalozzi و Fellenberg في فرنسا،ونشرها أيضًا في مجلة التربية؛ واهتم جوليان بإقامة علاقات مع العلماء من جميع التخصصات،وقام بإنشاء «المجلة الموسوعية» la Revue Enyclo-pédique»" في عام 1818 وحتى عام 1833 للحفاظ على العلاقات المستمرة مع العلماء من مختلف التخصصات،وأيضًا للتواصل مع العديد من الشخصيات الأجنبية.

ومن هنا تأثر جوليان بفلاسفة القرن 19،الأمر الذي أثر على اهتماماته التربوية وأعماله،بالإضافة إلى نقده للتربية في عصره،وقيامه بالعديد من الأشياء لتحسين وتطوير التعليم والارتقاء بالمجتمع الفرنسي.

ثانيًا: اهتمامات الرائد مارك أنطوان جوليان التربوية:

واهتم جوليان اهتمامًا شديدًا بالتربية،وكان له مجموعة من الأعمال التي كان لها أثر كبير في العالم؛ ففي عام 1808،نشر كتاب بعنوان «مقالة عن طريقة تهدف إلى تنظيم الوقت،الطريقة الأولى لتكون سعيدًا؛ وهي للشباب من سن 16 إلى 25 عامًا؛ مقتطف من عمل عام،أكثر شمولًا،عن التربية» [21].

وفي عام 1829،قام بنشر الطبعة الثانية بعنوان «مقالة عن تنظيم الوقت،أو طريقة لتنظيم الوقت؛ الطريقة الأولى لتكون سعيدًا؛ مخصصة خاصة للشباب من سن 15 حتى 25 عامًا»[22].

تحدث جوليان في هذين الكتابين عن تربية الأطفال وخاصة تربية الأطفال الأغنياء،كما تحدث عن أنواع التربية: التربية العامة،والتربية المنزلية،وقام بفحصهما جيدًا،وكان يفضل التربية المختلطة التي تأخذ في الاعتبار جميع النتائج الجيدة الناتجة عن نوعين التربية وتجنب جميع المخاطر الخاصة بهما،وأوضح ضرورة الاهتمام بالتربية الجسدية،والأخلاقية،والفكرية،ومراعاة ثلاثة أسئلة في غاية الأهمية عند التحدث عن كل نوع منهم؛ أولًا بالنسبة للتربية الجسدية،ما التمارين المفيدة للجسم والصحة التي يجب أن يمارسها الأطفال؟ ثانيًا بالنسبة للتربية الأخلاقية،ما الصفات الأخلاقية والفضائل التي يجب أن يكتسبها الأطفال؟ ثالثًا بالنسبة للتربية الفكرية،ما المعارف التي يجب أن يكتسبها الأطفال؟

وتحدث عن أهمية الوقت،وعن أفضل طريقة لتنظيم الوقت جيدًا؛ هذه الطريقة التي تطلب أولًا ضرورة التساؤل عن أهمية العمل الذي يُقام به،ثم التفكير يوميًا صباحًا أو مساءًا حول ما تم القيام به في اليوم السابق،ثم كتابة ملخص حول ما تم يوميًا من أعمال،وملاحظات،وأحداث،وأفكار؛ حتى يتسنى تذكرها في أي وقت.

وتناول أيضًا تطور التربية منذ العام الأول وحتى العام الخامس والعشرين في جداول تحليلية؛ هذه الجداول تتكون من خمسة أعمدة متوازية وهم: العمود الأول يتناول ترتيب سنوات التربية،ويتناول العمود الثاني التمارين المناسبة للتربية البدنية

وللصحة،ويتناول العمود الثالث مجموعة الصفات الأخلاقية والفضائل المخصصة للتربية الأخلاقية،ويتناول العمود الرابع الطرق المناسبة للتعليم،والمعارف المختلفة التي يجب أن يكتسبها التلاميذ تدريجيًا المخصصة للتربية الفكرية،وأخيرًا يتناول العمود الخامس كيفية تنظيم الوقت لل24 ساعة في اليوم.

وعلى ضوء ما سبق يتضح اهتمام جوليان بالتربية وخاصة التربية المختلطة التي تجمع بين التربية العامة والتربية المنزلية،وكذلك التربية الجسدية،والأخلاقية،والفكري ة،بالإضافة إلى اهتمامه بالوقت،وبالطريقة المثلى لتنظيم الوقت جيدًا.

وفي نفس العام،نشر كتاب بعنوان «مقالة عامة عن التربية البدنية والأخلاقية والفكرية تتبعها خطة تربوية عملية للطفولة والمراهقة والشباب أو أبحاث عن مبادئ وأساسيات التربية لأطفال الأسر الأولى لدولة ما،لتسريع مسيرة الأمة نحو الحضارة والازدهار»[23].

وفي عام 1835،قـام بنشر الطبعة الثانية بعنوان "مقالة عامة عن التربية البدنية والأخلاقية والفكرية،تتبعها خطة تربوية عملية للطفولة والمراهقة والشباب أو أبحاث عن مبادئ التربية المتقدمة،لتسريع مسيرة الأمة نحو الحضارة"[24].

تحدث جوليان في هذين الكتابين عن أهمية دور الأم إذ أنها تُعد أساس التربية في الأسرة،ورأى ضرورة تربية الطفل جيدًا منذ السنوات الأولى من عمره؛ لأن تأثير التربية في السنوات الأولى يبقى ممتد طوال حياته،وتحدث عن أنواع التربية التي يجب الاهتمام بها: التربية العامة،والتربية الخاصة (المنزلية)،ونادى بضرورة المزج بين عناصر هذين النوعين للتربية،كما ذكر مزايا وعيوب كلًا منهما؛ فمن مزايا التربية العامة: المحاكاة والتعليم المتبادل؛ وتحسين الجوانب البدنية والأخلاقية والفكرية للأطفال بشكل أسرع من خلال خلق صراع مستمر مع المنافسين الصغار؛ وتنمية مشاعر الصداقة،والإحسان،والإنسانية؛ وقمع الأنانية،والتكبر عند الأطفال،ومن مزايا التربية الخاصة (التربية المنزلية): أن تكون التعليمات موجه بشكل أفضل،وأكثر ملاءمة لطبيعة ذكاء ووجهة كل طالب؛ واختيار أفضل الأشخاص والأشياء والأمثلة للأطفال؛ والحفاظ على العادات الجيدة،والمبادئ الجيدة،والأخلاق الحميدة.

كما تحدث عن أنواع التربية الثلاثة،إذ كان يرى أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر هما: القلب أو الغريزة الأخلاقية التي تلهم الأعمال،والعقل أو قوة الذكاء والتفكير،وأخيرًا الجسم أو القوة البدنية التي تنفذ العمليات السابقة ومنها تم تقسيم التربية إلى ثلاثة أنواع هما: التربية البدنية،والأخلاقية،والفكرية.

ونقد جوليان التربية في عصره،وأوضح عدم الاهتمام بأنواع التربية الثلاثة: أولًا بالنسبة للتربية البدنية،وجد إن التمارين المهمة التي تشكل وتقوي الجسم،والسباحة،والرماية لا أحد يهتم بها؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على التمارين المفيدة للجسم وللصحة وممارستها،ثانيًا بالنسبة للتربية الأخلاقية،وجد عدم الاهتمام باكتساب العادات والنماذج الجيدة،بالإضافة إلى عدم إعداد الشباب بمعرفة العلاقات المتبادلة التي توجد بين الناس،أو واجباتهم تجاه المجتمع؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على الصفات الأخلاقية والفضائل وغرسها في نفوس التلاميذ شيئًا فشيئًا عن طريق إعطائهم دروس في الأخلاق عن نماذج أو أحداث أو قصص،ثالثًا بالنسبة للتربية الفكرية،وجد عدم تدريس المواد العملية بطريقة جيدة مثل المنطق والعلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات والرسم؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على المعارف التي سيشكل اكتسابها نظام كامل للتدريس أو للتربية الفكرية،بالإضافة إلى ضرورة التعرف على كيفية تدريسها لتصنيفها وتنسيقها في العقل دون إجهاده،والقيام بالأعمال والدراسات المناسبة التي تثقف العقل.

كما تحدث أيضًا عن أهمية اختيار المعلم،إذ رأى أن اختيار معلم ما هي نقطة في غاية الأهمية،كما رأى ضرورة أن يتوافر فيه أربع أشياء هما:

1 – أن يصدر تعليمات صلبة،وحكم سليم.

2 – أن يكون رقيق وحازم الشخصية.

3 – أن يكون لديه حماس وتضحية للمهمة النبيلة التي عُهد إليها.

4 – أن يقدم نفسه لشرف الوظيفة.

بالإضافة إلى أنه رأى ضرورة أن يهتم معلم واحد من10 وحتى 15 طفل فقط من نفس السن (5 أو6 سنوات)،وأن يكون المعلم شابًا،وألا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين أو

الثلاثين عامًا؛ لأنه كلما اقترب سنه من عمر تلاميذه،كلما سهل عليه التعامل معهم،وأن يكون مثقف وملم بالأحداث الجارية ولديه معرفة في جميع العلوم،وأن يكون صاحب مبادئ،وأن يمتلك العديد من الصفات مثل: الصبر،والحرص،والمهارة،والصدق،والأمان ة،وأن يكون حنون مع طلابه،ومخلص في عمله،ويحترم تلاميذه،ويطالب جوليان المعلم

بضرورة قراءة أعمال أخرى مفيدة عن التربية لكتاب وعلماء مثل: مونتاني Montaigne،ولوكLock،وكوندياكCondillac،ويجب أن يكون المعلم على دراية بأنه لا توجد طريقة تدريس واحدة مثالية،بل هناك العديد من الطرق التي تستخدم وفقًا للظروف المحيطة بالعملية التعليمية.

وتحدث جوليان عما يجب تعليمه للأطفال والكبار في كل سن،إذ رأى ضرورة تعليم الأطفال لحد سن السادسة القراءة،والكتابة،والحساب،وأساسيات الرسم؛ وتعليمهم من سن التاسعة وحتى ال 12 اللغات (لغتين أو أكثر)،والفيزياء،والكيمياء؛ وتعليمهم من سن ال 12،13،14 الهندسة النظرية والعملية،والرياضيات والجبر والميكانيكا؛ وتعليمهم من سن ال 15،16 اللغة الإيطالية والموسيقى؛ وتعليمهم من سن ال20،21 دراسة القوانين،والعمل لمدة ستة أشهر أو سنة لدى محامي،ولستة أشهر أخرى أو سنة لدى تاجر أو مصرفي،وذكر أن هناك أربعة أشياء مهمين يجب الاهتمام بهم عند الأطفال هما: حواس الأطفال،وتوفير لهم الفرص للتسلية والحركة،وتعليمهم التعاون وتبادل الأشياء ومساعدة الآخرين،والمحاكاة.

وتحدث جوليان في هذين الكتابين أيضًا عن أهمية الوقت،والإجراءات المتبعة لاستخدامه على أفضل نحو.

وأوضح جوليان 12 عادة لابد من أن يستخدمهم الإنسان هما:

1 – عدم فعل شيء يضر المزاج،واتباع نظام مناسب للحفاظ على الصحة.

2 – مراقبة الذات.

3 – تجنب أو تخفيف العيوب تدريجيًا.

4 – دراسة الناس ومعرفتهم.

5 – اختيار الأصدقاء الجيدين.

6 – الاستفادة من جميع الأشخاص الذين نتعامل معهم.

7 – التحدث قليلًا والحفاظ على الأسرار.

8 – الملاحظة والتفكير،والتمعن في الأسباب،والاستفادة من تجارب ومعارف الآخرين.

9 – ممارسة الذاكرة.

10 – تحليل الأشياء بدقة.

11 – تشكيل حكمي وأسلوبي الخاص بي.

12 – تقدير جدولة الوقت أو تنظيمه.

كما أوضح التوزيع الأمثل للأعمال اليومية على مدار اليوم (24 ساعة)؛ 7 ساعات فقط مخصصة للنوم،9 ساعات للمذاكرة والقراءة وأعمال العقل،8 ساعات الباقيين يتم توزيعهم على الطعام،وممارسة الرياضة،والتنزه،وزيارة أشخاص،والقيام بواجبات للمجتمع،والمتعة،كما طالب بضرورة النوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا في تمام السادسة،لما له من فائدة على صحة الإنسان.

وعلى ضوء ما سبق يتضح اهتمام جوليان بالتربية وخاصة تربية الأسرة،ودور الأم في هذه التربية،وأهمية التربية الجيدة للطفل في السنوات الأولى من عمره،واهتمام جوليان أيضًا بالتربية المختلطة التي تجمع بين التربية العامة والتربية المنزلية،وكذلك التربية ال جسدية،والأخلاقية،والفكرية،بالإضافة إلى أهمية اختيار المعلم،وما يجب تعليمه للأطفال والكبار في كل سن،وأهمية الوقت،وال 12 عادة التي لا بد من أن يستخدمهم الإنسان،وأخيرًا التوزيع الأمثل للأعمال اليومية على مدار اليوم (24ساعة).

وفي عام 1812،قام جوليان بنشر الطبعة الأولى من كتاب بعنوان «فكر طريقة التربية للسيد بيستالوزي Pestalozzi،المتبعة والممارسة في معهد إيفردون Yver-dun التربوي في سويسرا[25]»،وفي عام 1842،قام بنشر الطبعة الثانية في باريس تحت

عنوان «عرض طريقة التربية للسيد بيستالوزي [26]». «Exposé de la Méthode d'Education de Pestalozzi».

تحدث جوليان في هذين الكتابين عن المعهد الذي أسسه السيد بستالوزي،الألماني الجنسية،في سويسرا،إذ يُعد أحد المعاهد التربوية التي لها أهمية كبرى في العالم؛ وذلك لأنه يجمع بين النظرية والتطبيق في التربية،ويحتوي هذا المعهد على مناظر طبيعية خلابة؛ وذلك لأنه يقع بين الجبال وعلى شواطئ البحيرة،كما يحتوي على أقسام كل قسم يضم من 8 إلى 10 تلاميذ،لكل تلميذ مدرس خاص به شاب يكون معه منذ الطفولة،يعتبره التلميذ زميله وليس معلمه،يرأس جميع هذه الأقسام شخصًا يُعد بمثابة أب للجميع،فهو يعامل جميع الطلاب والمعلمين مثل أطفاله،يحبهم،ويعطف عليهم،ويحتويهم،وتقوم جميع العلاقات بينهم على الثقة والصداقة،كما أن جميع الأعمال التي يقومون بها تكون مبهجة،ويقدم هذا المعهد رحلات خلابة للأطفال،وأماكن مناسبة لتعليمهم السباحة،ويتم الاهتمام داخل المعهد بثلاثة أشياء: الفنون،واللغات،والعلوم؛ حيث يتعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والرسم والموسيقى والألعاب،ويقومون بدراسة اللغات الإغريقية،واللاتينية،والألمانية،والفرنسية.

كما تحدث عن اهتمام هذا المعهد بتعليم الأطفال الفقراء،واهتمامه بأنواع التربية الثلاثة: التربية البدنية،والتربية الأخلاقية،والتربية الفكرية،ويتناول نوعين من التعليم: التعليم الابتدائي،والتعليم الثانوي؛ فهو معهد مخصص من جهة لإعداد معلمين جيدين،ومن جهة أخرى إعداد أمهات جيدين قادرين على تربية أطفالهم جيدًا،بالإضافة إلى توفير الإمكانيات لتحسين طرق التعليم العملية المتبعة،وهو معهد تجريبي؛ حيث يقومون بتجميع الملاحظات اليومية،والخبرات والتجارب المتبعة،وهو معهد صناعي؛ حيث يقومون بإعداد الطلاب للصناعة،والفنون،والمهن،وهو معهد للبنات والولاد يسعي إلى تقريب كلا الجنسين تحت مراقبة ملاحظين نشطاء لمقارنة خطواتهم،وتقدمهم،والفروق الدقيقة للخصائص التي تتعلق بتربية أحدهما،وبالرغم من وجود البنات في معهد منفصل،إلا أنه يتم توجيههم وفقًا لمبادئ واحدة.

وذكر أنه قام بزيارة هذا المعهد،وبعد زيارته وجه العديد من الأسئلة للسيد بيستالوزي وللمعلمين ولبعض الطلاب،وناقش المعلمين حول طرق التدريس التي يستخدمونها،ثم

قام بتدوين عدد كبير من الملاحظات،بالإضافة إلى حضوره في الفصول،وفي النهاية بعد ملاحظته لكل شيء ولجميع التفاصيل الداخلية وقيامه بمتابعة طريقة التربية خطوة بخطوة،وكيفية تنظيم المعهد،والتغييرات والتعديلات التي يقوم بها،قام بدراسة وتحليل الأفكار المتتابعة والمترابطة،وقام بتطبيق هذا الكلام على بعض الأطفال الفقراء وكانت النتائج مبشرة للغاية،وتعلموا كل شيء القراءة،والكتابة،وغيرها.

وتناول جوليان في هذا العمل كل شيء تفصيليًا عن كيفية التربية والتعليم في المعهد والتمارين المستخدمة مع الأطفال،وعند تحليله لفكر طريقة بيستالوزي القائم على الدين والأخلاق والمنطق،وجد أن هناك مبادئ رئيسية يقوم عليها هذا المعهد وهي: الدين،والأخلاق،وثقافة الإنسان،والحرية،والتجانس،والإيجابية،والحدس أو البداهة،والتدرج في جميع أقسام التربية والتعليم،وترابط جميع عناصر التربية والتعليم،والجمع بين نوعي التربية: التربية العامة أو الاجتماعية،والتربية الخاصة (المنزلية أو العائلية)،وتحديد وتنظيم كل ما يحيط بالتربية،والوجود.

بالإضافة إلى أنه أوضح الوسائل الخاصة بالتنفيذ وهي:

1 – استخدام عدد قليل من الكتب؛ لأن الأطفال يفضلون الحركة بدلًا من القراءة.

2 – استخدام عدد قليل من الصور والأشكال للأشياء؛ لأن الطبيعة تعتبر أفضل نموذج يبقى راسخ في أذهان الأطفال.

3 – أن تقوم جميع الأشياء على العمل أو على التمرين.

4 – استخدام الكثير من الحواس.

5 – تشجيع التعليم التبادلي.

6 – استخدام لغتين.

ويتضح مما سبق اهتمام جوليان بالمعهد الذي أسسه السيد بستالوزي؛ هذا المعهد الذي يجمع بين النظرية والتطبيق في التربية،واهتمامه بالفنون،واللغات،والعلوم،واهتم امه بتعليم الأطفال الفقراء،واهتمامه أيضًا بأنواع التربية الثلاثة؛ التربية البدنية،والتربية الأخلاقية،والتربية الفكرية،واهتمامه بإعداد معلمين وأمهات جيدين قادرين على تربية الأطفال جيدًا،بالإضافة إلى المبادئ الرئيسية التي يقوم عليها هذا المعهد.

المحور الثالث: إسهامات الرائد مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة:

ويتضمن هذا المحور إسهامات الرائد مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة،ونقدها وتحليلها،وفيما يلي توضيح ذلك: –

أولًا: إسهامات الرائد مارك أنطوان جوليان الفكرية في التربية المقارنة:

يُعد مارك أنطوان جوليان الباريسي رائد التربية المقارنة الأول في فرنسا،ويُطلق عليه لقب «أبو التربية المقارنة» فهو أول من اخترع مصطلح «التربية المقارنة»،وأول من أطلق مصطلح «علم التربية»،وأول من قام بإجراء دراسة تحليلية،وأول من أطلق فكرة المقارنة بين المؤسسات وطرق التعليم في مختلف دول أوروبا في كتابه: «تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة» [27].

وقام جوليان بنشر مقالٍ عن التعليم الابتدائي في «صحيفة التربية» «Journal d›Education» عام 1816م،أُعيد طبعه في كتيب عام 1817م،ثم أعاد المكتب الدولي للتربية نشره عام 1922م،لأهميته؛ لأنه يعتبر الأساس الذي قامت عليه التربية المقارنة،كما أعطى أمثلة للاستبيانات،واقترح إنشاء نظام دولي يساعد المؤسسات التعليمية في تحسين نظامها التعليمي،ونادى بضرورة وجود موضوعية في الأبحاث في التربية المقارنة [28].

كما نادى بضرورة إنشاء لجنة خاصة للتعليم،تكون أقل عددًا وتتكون من أشخاص أكْفاء مسئوليتهم جمع ما تقوم به المؤسسات بشكل عام في مختلف دول أوروبا،ويجب على هؤلاء الأشخاص الذهاب في جميع أنحاء أوروبا والوصول إلى وصف لحال التعليم العام من خلال الاستفادة من الاستبيانات التي أجراها،كما نادى أيضًا بضرورة إنشاء معهد عام للتعليم مخصص لإعداد معلمين أكفاء،وكتب مدرسية جيدة [29]،وبالفعل أنشأ جوليان لجنة للتعليم تستند إلى نتائج استطلاع دولي مقارن هدفها الكشف عن الفروع التي تقدم تحسينات ملموسة يمكن نقلها من بلد إلى آخر،مع إجراء تعديلات وتغييرات تتناسب مع الظروف والمحليات [30].

ويعرف مارك أنطوان جوليان الباريسي Marc – Antoine Jullien De Paris التربية المقارنة بأنها: "الدراسة التحليلية للتربية في البلاد المختلفة بهدف الوصول إلى تطوير النظم القومية للتعليم وتعديلها بما يتماشى مع الظروف المحلية".

كما يعرفها بأنها الدراسة التحليلية التي تستند إلى الملاحظة الموضوعية وتجميع الوثائق عن النظم التعليمية في البلاد المختلفة،فالتربية مثلها مثل باقي العلوم تقوم على حقائق وملاحظات ينبغي تصنيفها في جداول تحليلية تسهل مقارنتها،وذلك بهدف استنتاج بعض القواعد المحددة. وبهذا نجد أن هدف جوليان هو الوصول إلى مبادئ عالمية للسياسة التعليمية وهذا هو هدف التربية المقارنة الآن.

ولجوليان هدفين في غاية الأهمية هما:

1 – هدف تربوي،حيث كان هدف جوليان هو تحسين التربية،إذ رأى عدم الاهتمام بالتربية في عصره؛ فلم يكن أحد يهتم بأنواع التربية الثلاثة في عصره: أولًا بالنسبة للتربية البدنية،وجد إن التمارين المهمة التي تشكل وتقوي الجسم،والسباحة،والرماية لا أحد يهتم بها؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على التمارين المفيدة للجسم وللصحة وممارستها،ثانيًا بالنسبة للتربية الأخلاقية،وجد عدم الاهتمام باكتساب العادات والنماذج الجيدة،بالإضافة إلى عدم إعداد الشباب بمعرفة العلاقات المتبادلة التي توجد بين الناس،أو واجباتهم تجاه المجتمع؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على الصفات الأخلاقية والفضائل وغرسها في نفوس التلاميذ شيئًا فشيئًا عن طريق إعطائهم دروس في الأخلاق عن نماذج أو أحداث أو قصص،ثالثًا بالنسبة للتربية الفكرية،وجد عدم تدريس المواد العملية بطريقة جيدة مثل المنطق والعلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات والرسم؛ لذلك رأى ضرورة التعرف على المعارف التي سيشكل اكتسابها نظام كامل للتدريس أو للتربية الفكرية،بالإضافة إلى ضرورة التعرف على كيفية تدريسها لتصنيفها وتنسيقها في العقل دون إجهاده،والقيام بالأعمال والدراسات المناسبة التي تثقف العقل.

2 – هدف تعليمي،حيث كان هدفه تطوير وتحسين التعليم العام،ورأى جوليان عدة أشياء مهمة فيما يخص التعليم،كان من بينها أهمية اختيار المعلم،إذ رأى أن اختيار معلم ما هي نقطة في غاية الأهمية،كما رأى ضرورة أن يتوافر فيه أربع أشياء هما:

1 – أن يصدر تعليمات صلبة،وحكم سليم.

2 – أن يكون رقيق وحازم الشخصية.

3 – أن يكون لديه حماس وتضحية للمهمة النبيلة التي عُهد إليها.

4 – أن يقدم نفسه لشرف الوظيفة.

بالإضافة إلى أنه رأى ضرورة أن يهتم معلم واحد من10 وحتى 15 طفل فقط من نفس السن (5 أو6 سنوات)،وأن يكون المعلم شابًا،وألا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين أو الثلاثين عامًا؛ لأنه كلما اقترب سنه من عمر تلاميذه،كلما سهل عليه التعامل معهم،وأن يكون مثقف وملم بالأحداث الجارية ولديه معرفة في جميع العلوم،وأن يكون صاحب مبادئ،وأن يمتلك العديد من الصفات مثل: الصبر،والحرص،والمهارة،والصدق،والأم انة،وأن يكون حنون مع طلابه،ومخلص في عمله،ويحترم تلاميذه،وأن يكون على دراية بأنه لا توجد طريقة تدريس واحدة مثالية،بل هناك العديد من الطرق التي تستخدم وفقًا للظروف المحيطة بالعملية التعليمية.

ونادى جوليان أيضًا بضرورة إنشاء لجنة خاصة للتعليم يكون عددها قليل،تتألف من أشخاص مهمتهم النظر في المؤسسات وطرق التربية والتعليم في مختلف دول أوروبا،كما نادى بضرورة إجراء الاختبارات العملية مع النظرية،وتطبيق الملاحظات التي يتم تجميعها،وأوضح جوليان ضرورة وجود معلمين جيدين يعرفون جيدًا ما الذي يريدونه وما الذي ينبغي عليهم فعله،وأن يكونوا قادرين على تعليم المبادئ للأطفال،وضرورة وجود كتب نموذجية في مختلف فروع العلوم تساعد على تنمية الأطفال والشباب.

ويعتبر جوليان أول من أدخل طريقة الوضعية Positivism أو المنهج الكمي في بحوث التربية المقارنة التي وضعت اتجاهًا جديدًا لنموذج البحوث التربوية المقارنة،فهو أول من تقدم التيار المعرفي للوضعية في التربية المقارنة،وقام بذلك نحو أكثر من عقد من الزمن قبل أوجست كونت،مؤسس علم الاجتماع ورائد الوضعية الأسبق من وجهة نظر العلماء،واقترح جوليان الملاحظة المنهجية للظواهر التعليمية لتمييز المبادئ الشبيهة بالقانون والتي يستند إليها تحسين التعليم،حيث ستكون وحدات

التحليل عبارة عن كيانات ثقافية تشكل الخصائص التعليمية،والتي بدورها ستؤثر على منتجات التعليم المدرسي. وكانت الوحدات التي يتم تحليلها عادة عبارة عن مدارس مصنفة من قبل البلدان،وبسبب عدم توافر الموارد لإجراء مسح شامل للمدارس في مختلف البلدان،اقترح جوليان استخدام خدمات الوحدات عبر الوطنية أو التحليلات عبر الثقافية.

وهكذا مهد جوليان الساحة للوضعية في الربع الأول من القرن التاسع عشر حيث ظهر في التربية المقارنة. ومع ذلك،لم يحدث ذلك إلا بعد فترة طويلة في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين التي ازدهرت فيها الوضعية،حيث بلغت ذروتها في عام 1967 مع ظهور المشروع الدولي لتقييم التحصيل الدراسي،مسح لتحصيل الرياضيات والذي قام بتنسيقه تورستن هوسن،وهو مشروع تطور وتكرر بشكل دوري حتى الوقت الحاضر في شكل اتجاهات في دراسة الرياضيات والعلوم الدولية.

وفي عام 1817م،نشر جوليان كتاب بعنوان "تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة[31]"،هذا الكتاب المؤلف من 56 صفحة بدأه جوليان بالتحدث عن بعض أجزاء ألمانيا،وإيطاليا،وسويسرا وخاصة ال 22 كانونتات السويسرية وما بها من تنوع للمناخ،واللغات؛ حيث يستخدمون ثلاث لغات هم: الألمانية والإيطالية والفرنسية،بالإضافة إلى تنوع الأديان والمنظمات السياسية والحكومية بها؛ هذا التنوع الذي يسمح بالتعرف على مؤسسات ونظم التعليم المختلفة.

كان هدف جوليان هو التطوير وتحسين التعليم العام؛ من أجل ذلك نادي بضرورة إنشاء لجنة خاصة للتعليم يكون عددها قليل،وتتألف من أشخاص مهمتهم النظر في المؤسسات وطرق التربية والتعليم في مختلف دول أوروبا،كما نادى بضرورة إجراء الاختبارات العملية مع النظرية،وتطبيق الملاحظات التي يتم تجميعها،وأوضح جوليان ضرورة وجود معلمين جيدين يعرفون جيدًا ما الذي يريدونه وما الذي ينبغي عليهم فعله،وأن يكونوا قادرين على تعليم المبادئ للأطفال،بالإضافة إلى ضرورة وجود كتب نموذجية في مختلف فروع العلوم تساعد على تنمية الأطفال والشباب.

ونقد جوليان التربية في عصره سواء كانت التربية التي تمارس في الأسرة أو في المدرسة؛ لأنها تربية لم تهتم بالجوانب الجسدية،أو الأخلاقية،أو الفكرية،كما أوضح أن الجهل،وعدم مراعاة الواجبات،وحل جميع الروابط الدينية والأخلاقية والاجتماعية،والفساد الشديد أدى إلى خراب جميع بلدان أوروبا على التوالي،وكان جوليان يرى أن التربية مثلها مثل باقي العلوم والفنون الأخرى تتكون من حقائق وملاحظات،ومن الضروري ترتيب هذه الحقائق والملاحظات في جداول تحليلية تسمح بمقارنتها لاستنتاج مبادئ وقواعد محددة؛ بهدف أن تصبح التربية علمًا إيجابيًا بدلًا من تركها للآراء المحدودة،كما يجب أن تقدم أبحاث التربية المقارنة طرق جديدة لتحسين علم التربية،واقتراح نماذج لإعداد جداول المقارنة أو الأطر لملئها،وتقديم الأداة المناسبة لجمع الملاحظات،وطرق التدريس المختلفة،والتأثيرات الجيدة أو الضارة التي تنتج عنها.

وأوضح جوليان أن موضوع التربية هو الإنسان،وهدفها هو السعادة،وأداتها هي الزمن؛ أولًا بالنسبة للإنسان،فإنه يتكون من ثلاثة عناصر هما: الجسم،والقلب،والفكر؛ ثانيًا بالنسبة السعادة،فإنها ترتبط بالعناصر الثلاثة التي يتكون منها الإنسان وهي: الصحة،والأخلاق،والتعليم؛ وأخيرًا بالنسبة الوقت،فإنه يُستخدم مع الثلاث مراحل المتتالية: مرحلة الطفولة،ومرحلة المراهقة،ومرحلة الشباب.

وتحدث جوليان عن ثلاث مجموعات كبار من المدارس العامة هما:

1 – المدارس الابتدائية والمشتركة.

2 – المدارس الثانوية أو الكلاسيكية.

3 – المدارس العليا والعلمية أو الخاصة.

ثم تحدث عن ثلاث مجموعات أخرى من المدارس:

4 – المدارس العادية التي تم تأسيسها لإعداد المعلمين،الذين يجب عليهم تطبيق مبادئ وقوانين التربية بأنفسهم في مختلف الفروع والمجالات.

5 – المؤسسات لتربية الفتيات.

6 – المدارس الحكومية بصفة عامة،وجميع مؤسسات التربية.

وتناول مجموعة من الأسئلة تشكل خطته للإصلاح؛ مجموعتين فقط من ستة تم تناولهم تفصيليًا،إذ تتكون المجموعة الأولى من 120 سؤال عن التعليم الابتدائي والمشترك،وتتكون المجموعة الثانية من 146 سؤال عن التعليم الثانوي والكلاسيكي،في حين لم تشمل المجموعات الأربعة الأخرى سوى عناوين فقط وهم: التعليم العالي والعلمي،والتعليم العادي،وتعليم الفتيات،والتعليم فيما يتعلق بالتشريعات والمؤسسات الاجتماعية،وفيما يلي تناول تعريف التربية المقارنة،وأهدافها وأغراضها،وبنيتها،والمنهج والمحتوى،والسياسات.

ثانيًا: النقد والتحليل:

وبالرغم من اعتبار البعض مارك أنطوان جوليان الباريسي «أبو التربية المقارنة»،والنظر إلى عمله الذي ظهر عام 1817م على أنه أساس هذا المجال،إلا أن هناك رأي آخر يرى عكس هذا الكلام،وهو ما أوضحه الكاتب إروين إبستاين Erwin H. Epstein في مقال له بعنوان «هل يُعد مارك أنطوان جوليان الباريسي أبو التربية المقارنة؟ (32)»

Is Marc - Antoine Jullien de Paris the father of comparative" "?education

بدأ الكاتب هذا المقال بالتحدث عن أصل مصطلح التربية المقارنة،وأوضح أن الأدبيات لم تذكر هذا المصطلح حتى بدأه جوليان في عمله عام 1817م،ولكن قبل استخدام جوليان لهذا المصطلح،قام لوييه رونيه دو كارادوك دو لا شالوتيه – Louis René de Caradeuc de la Chalotais في عام 1763 باستخدام كلمة «مقارنة» أو «مقارن» في مقالته الشهيرة «التربية الوطنية أو القومية»،ويرى الكاتب أن هناك ثلاثة معايير أساسية لتحديد منشأ التربية المقارنة: (1) الظهور المبكر للدراسة المقارنة،(2) درجة إجراء الدراسة المنهجية،(3) القدرة على التعميم،ويتساءل هل يمكن أن تكون وثيقة «مقال التربية القومية» لعام 1763 هي الوثيقة التأسيسية في التربية المقارنة،وهل يمكن أن يكون «شالوتيه» بالفعل مؤسس هذا المجال؟ من المؤكد أن شالوتيه أوفى بمعيار كونه استخدم كلمة «مقارنة» مبكرًا،ولكنه لم يوف بالمعايير الأخرى إجراء الدراسة المنهجية،والقدرة على التعميم.

ثم انتقل الكاتب إلى كريستيان جوتلوب هاين Christian Gottlob Heyne ومسألة ما إذا كان الأب" المؤسس للحقل بدلًا من جوليان أو لا شالوتيه،وأن تكون مقالته التي بعنوان "فون دين اليمنتر" «Von den Elementar – und Schulbuchern?» لعام 1780 هي الوثيقة التأسيسية لهذا المجال؛ حيث تُعد هذه المقالة دراسة على 80 كتابًا تم إرسالهم إلى هاين من الملك الإنجليزي جورج الثالث في أواخر السبعينيات،وكانت هذه الكتب تستخدم في المدارس الملكية في ويستمنستر Westminster،وإيتون Eton،وتم توجيه هاين لمراجعتها بغرض اكتساب المعرفة التي يمكن تطبيقها من أجل تحسين التعليم في المدارس الألمانية اللاتينية في أراضي هانوفر؛ ولذلك يبدو أن عمل هاين هو الأول في الأدبيات التي تجمع المقارنات بين التعليم في سياق وطني واحد وبين التعليم في سياق وطني آخر على أساس دراسة مستفيضة.

وأخيرًا انتقل إلى فريدريش أوجست هيشت Friedrich August Hecht،وتساءل أيضًا حول ما إذا كان «الأب» المؤسس للتربية المقارنة أم لا.

وعلى ضوء ما سبق يتضح اقتراح الكاتب لأربعة مرشحين لإطلاق على كل منهما «الأب» المؤسس للتربية المقارنة هما: مارك أنطوان جوليان الباريسي،ولوييه رونيه دو كارادوك دو لا شالوتيه،وكريستيان جوتلوب هاين،وفريدريش أوجست هيشت،إلا أنه لا يمكن ذلك لأن كل منهما لم يفي بالمعايير الثلاثة السابق ذكرهما؛ حيث أوفى كل منهما بالمعيار الأول فقط ولم يوفوا بالمعيار الثاني أو الثالث،ولكن تُعد مداخلهم أكثر صرامة وقابلية للتعميم،واختيار أي منهما يستحق التسمية،ويوضح الكاتب أنه عند الحكم على أي من هؤلاء الثلاثة باعتبارهم «الأب» يجب أن يعتمد على المنظور المعرفي الخاص،وقد اختار آخرون جوليان لميوله الوضعية.

ويرى الكاتب أيضًا أن استخدام مصطلح «التربية المقارنة» لا يُعد كافيًا لتتويج جوليان كمؤسس للمجال،وأن القاعدة المعرفية لجميع التربية المقارنة ليست مستمدة من جوليان أو من عمله؛ حيث إن التربية المقارنة هي مجال معقد يحتوي على العديد من الجوانب في شكل اختلافات نموذجية؛ فهناك 20 من هذه الجوانب ذكرها هنريكسون

Henrickson،وفايزون Faisaon،ورســت Rust عام 2003 وهما: رأس المال البشري،والتحديث،والوظيفة البنيوية،ونظرية النظم، والاختيار العقلاني،والتعددية السياسية، والنظرية التنظيمية / المؤسسية، والتبعية، والماركسية / الماركسية الجديدة، والنظم العالمية، والإثنوغرافيا، والظاهرية، والبنائية،والتفاعل الرمزي، والنظرية النقدية،والتنشيط الثقافي، والنسيوية، وما بعد البنيوية، والتفاعل البراغماتي، والاستعمار الجديد،بالإضافة إلى نظرية الدوران الجنوبي أوضحها تاكاياما Takayama عام 2011،ونظرية تأثير الفلتر أوضحها إبستين Epstein عام 1997،كما تحتوي التربية المقارنة على العديد من المناهج والمنهجيات،وبما أن جوليان لا يعتبر مؤسس لجميع هذه النماذج،إذًا فهو لا يُعد المؤسس الحقيقي للتربية المقارنة.

وأوضح الكاتب أن الحاجة إلى التحقق التجريبي هي سمة أساسية للوضعية،التي ترسم حدودًا ضد التشكيلات المعرفية البديلة،وإذا كان الدليل التجريبي والوضعية هما اللذان يحددان الشرعية في التربية المقارنة وإذا كانا يشكلا أساسًا للتعميم،فعندئذ يجب اعتبار مارك أنطوان جوليان مؤسسًا للحقل،ولكن الأدلة التجريبية والوضعية ليسوا هما الأسس الشرعية الوحيدة للتعميم في التربية المقارنة. وإذا كان هناك مداخل بديلة للتعميم سبقت جوليان،فربما لا يعتبر عمل جوليان الوثيقة التأسيسية لهذا المجال،ولا يعتبر جوليان «أبو» التربية المقارنة.

وفي عام 1969،ظهر «نحو علم التربية المقارنة» لنوا واكستاين،والذي كان أكثر الأفكار الوضعية صلابة كمنظومة معرفية رئيسية في هذا المجال؛ حيث إن الوضعية هي واحدة فقط من ثلاثة تيارات معيارية في هذا المجال،بينما التيارين الآخرين هما النسبية،والوظيفية التاريخية التي تُعد مزيج من الوضعية والنسبية أو السياقية،وكانت النسبية أو السياقية متجذرة بعمق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،لكنها ارتدت بشكل جيد في التربية المقارنة المعاصرة.

وبالرغم من النقد الذي وجه لجوليان بأنه ليس أبو التربية المقارنة،إلا أن الباحثة ترى أن مارك أنطوان جوليان يُعد أبو التربية المقارنة ورائد التربية المقارنة الأول الفرنسي،وذلك

لأنه قدم شيء لم يقدمه أحد في عصره وهو الوضعية أو المنهج الكمي التي وضعت اتجاهًا جديدًا لنموذج البحوث التربوية المقارنة؛ فلقد ابتدع جوليان طريقة معينة تقوم على تشكيل لجنة أو لجان تعليمية مسئولة عن جمع وتصنيف المعلومات التربوية باستخدام استبيانات اقترحها جوليان،ثم يتم ترتيب هذه المادة في خرائط تحليلية تسمح بالمقارنة والوصول إلى القواعد العامة التي تحكم مسار النظم التعليمية،ويعتبر رأي الباحثة مثل رأي نوا وإكستاين الذين كانوا يروا أن جوليان توصل إلى تقييم طريقة يمكن من خلالها إيجاد ما يمكن استعارته من الثقافات الأخرى لجعل أنظمة التعليم أفضل؛ ففي السابق،كانت هذه مجرد ملاحظات مادية،ولكن الآن فلقد أصبح هناك استبيانات يمكن أن تكون سريعة وسهلة من أجل الحصول على النتائج المرجوة،وقد ساعد ذلك في معرفة كيفية مساعدة الثقافات الأخرى لتعزيز تعليمهم في البلاد [33].

المحور الرابع: سياق مرحلة النشأة في فرنسا:

ويتضمن هذا المحور الممارسة الخطابية،والممارسة الاجتماعية،وفيما يلي توضيح ذلك: –

أولًا: الممارسة الخطابية:

يُعد القرن التاسع عشر في فرنسا فترة التغييرات العميقة وعدم الاستقرار السياسي [34]،وفي ديسمبر 1804،تم تتويج نابليون الأول،إمبراطور فرنسا،في Notre – Dame de Paris. وفي عام 1807،سمحت الانتصارات الجديدة ضد بروسيا لنابليون Napoléon بتعيين أخاه جيروم Jérôme على عرش ويستفالي Westphalie،كما أن معاهدة التحالف مع قيصر روسيا أكدت سيادة فرنسا على جزء كبير من أوروبا،إلا أن نابليون الذي كان يفكر دائمًا في إنجلترا،قرر في عام 1808 تأسيس حصار اقتصادي يمنع كل تجارة أوروبية مع الجزر البريطانية. وفي عام 1809،انتصر نابليون مرة أخرى على فاجرام Wagram ضد النمساويين فاتحًا أراضي البحر الأدرياتيكي للإمبراطورية الفرنسية.

وفي عام 1811،وصلت الإمبراطورية إلى ذروتها،وأصبح أعضاء عائلة نابليون على رأس الإمبراطورية. وفي نفس الوقت،ارتفعت حالة عدم الرضا،وتم تنظيم المقاومة:

فلقد استعادت بروسيا جيشها،وفسخت روسيا معاهدة تيلسي Tilsit،مُجبِرة القوات الفرنسية داخل قرية عسكرية في روسيا،وانتهت بتدمير نصف الجيش العظيم تقريبًا.

ومهدت هزيمة روسيا إلى سقوط الإمبراطورية. وفي عام 1814،قامت جميع أوروبا بتشكيل تحالفًا ضد فرنسا،وهزمت القوات الفرنسية في Leipzig،وتم غزو فرنسا،وتنازل الإمبراطور عن العرش،وتم سجنه ونفيه في جزيرة ألب l'île d'Elbe،إلا أن نابليون استطاع الهروب السنة التالية،وفي مارس سنة 1815،نجح في استعادة السلطة،وعاد منذ رحيله إلى لويس الثامن عشر،أخو لويس السادس عشر،ولكن هذه العودة لم تكن إلا مدة قصيرة،انتهت بهزيمة نهائية ضد الإنجليز والبروسيون في الثامن عشر من يونيو في بلجيكا،وانتهت المائة يومًا لنابليون،وتم نفيه هذه المرة في Sainte Hélène،جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الأطلنطي على بعد 6000 كيلومترًا من فرنسا،وانتهت حياة نابليون هنا عام 1821م.

وتتزامن نهاية الإمبراطورية مع نهاية الفترة الثورية في فرنسا،والحروب المستمرة التي تميزت بها. كما أدت عشرين عامًا من الصراعات إلى وفاة أكثر من ثلاثة مليون شخصًا في أوروبا،ومنذ عام 1815،انخفضت فرنسا اقتصاديًا،كما تم تقسيمها اجتماعيًا.

ومما سبق يمكن القول إن القرن التاسع عشر في فرنسا يعتبر فترة التغييرات العميقة وعدم الاستقرار السياسي،وفي عام 1804 تم تتويج نابليون على عرش فرنسا،وتم غزو فرنسا وتم هزيمة القوات الفرنسية وانتهى الحال بالإمبراطور إلى سجنه ونفيه مرتين؛ المرة الأولى كانت في جزيرة ألب l'île d'Elbe ولكنه استطاع الهروب واستعاد السلطة ثم تم نفيه مرة أخرى في Sainte Hélène وتوفى عام 1821م.

ثانيًا: الممارسة الاجتماعية:

وتم تقسيم المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر إلى طبقتين: الطبقة البرجوازية،وطبقة العمال.

أولًا الطبقة البرجوازية هي طبقة متوسطة أو شديدة الثراء،يمتلكون المصانع والبنوك،كما يشغلون الوظائف الأكثر أهمية في البلاد[35]،ولا يُعد الشخص البرجوازي

فلاحًا أو عامل أو من النبلاء،وإنما يُعد صاحب بنك أو مصنع،ويعيش البرجوازي في أجمل مناطق المدن،ويكون لديه عدد كبير من الخدم لخدمته،وتتكون الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة من أطباء،وقضاة،ومهندسين،ومعلمين،وموظفي مكاتب،ويكون مستوى معيشتهم أكثر تواضعًا منه في الطبقة البرجوازية الكبيرة،ويكون لديهم رغبة في تربية أطفالهم جيدًا؛ وظيفة جيدة للأولاد،وزواج جيد للبنات(36).

ثانيًا طبقة العمال فهم يعملون في المصانع في ظروف شديدة القسوة من أجل الحصول على أجر بسيط،وأما بالنسبة للأطفال،فهم يعملون لمساعدة آبائهم،ويكون عملهم خطير ويصاب العمال بالأمراض بسبب النظافة السيئة في موقع العمل،بالإضافة إلى منع الحق في الإضراب للاشتكاء من العمل،ويعيش هؤلاء العمال في إسكان غير صحي مثل الكهوف بدون تدفئة[37]،ويصل أعداد كبيرة منهم من الأرياف للعمل في المصانع،وهذا هو النزوح الريفي،ويعيشون في سكن رطب وبارد،بالإضافة إلى مرتباتهم الضئيلة جدا،كما كانت ظروف العمل في المصانع والمناجم مروعة خاصة للنساء والأطفال،وكانت ساعات العمل تتروح ما بين 12 – 14 ساعة[38].

وهناك الكاتب الفرنسي إيميل زولا Emile Zola الذي ولد عام 1840 وتوفي عام 1902،كما أنه كتب مقالات في الجرائد،بالإضافة إلى أنه مؤلف معروف بالروايات والتي كان من بينها رواية Rougon Macquart التي حكت في عشرين مجلد تاريخ البرجوازيين والعمال في القرن التاسع عشر،ويُعد زولا أيضًا مؤلف واقعي،هذه الحركة الأدبية التي كانت تحكي وضع الأشخاص المنتمون إلى الواقع،بالإضافة إلى توضيحها للطريقة التي كان يعيش بها الأشخاص في هذا العصر،بالإضافة إلى أن أحد مجلداته كان بعنوان "Germinal" الذي وصف العمل في المناجم في القرن التاسع عشر.

ويتضح مما سبق عدم المساواة في المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر،حيث كان هناك الطبقة البرجوازية التي تُعد طبقة أصحاب البنوك والمصانع،الذين يعيشون في أجمل مناطق المدن،والذين يحصلون على أفضل التعليم،وطبقة العمال الكادحة التي تعيش في سكن غير صحي ورطب وبارد،وتعمل في المصانع والمناجم في ظروف قاسية للغاية من أجل الحصول على أجر بسيط،ولا تحصل على التعليم.

وفي إطار ما سبق يمكن الخروج بالنتائج التالية: –

1 – تميزت مرحلة النشأة بأن التربية المقارنة كانت موجودة في ذلك الوقت،ولكنها لم تكن معروفة بهذا المصطلح،إلى أن جاء مارك أنطوان جوليان الباريسي ليطلق مصطلح التربية المقارنة لأول مرة عام 1817م في عمله «تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة»،كما لم يكن هناك استبيانات،أو نظام دولي يساعد المؤسسات التعليمية على تحسين نظامها التعليمي،أو معهد عام للتعليم مخصص لإعداد معلمين أكفاء،كما لم يكن أحد قد تطرق إلى طريقة الوضعية Positivism أو المنهج الكمي في بحوث التربية المقارنة حتى ظهر جوليان.

2 – ظهر العديد من العلماء الفرنسيين في هـذه الفترة،مثل مونسكيو Montesquieu،ونيكولا دو كوندورسيه Nicolas de Condorcet،وجيوم أنطوان أوليفييه Guillaume – Antoine Olivier،سيزار أوجست باسيه César Auguste Basset.

3 – توصلت الدراسة إلى أن مارك أنطوان جوليان الباريسي رائد هذه المرحلة؛ وذلك لأنه أول من اخترع مصطلح "التربية المقارنة"،وأول من أطلق مصطلح "علم التربية"،وأول من قام بإجراء دراسة تحليلية،وأول من أطلق فكرة المقارنة بين المؤسسات وطرق التعليم في مختلف دول أوروبا في كتابه: "تخطيط وآراء أولية عن مؤلف في التربية المقارنة" الذي قام بنشره عام 1817م.

بالإضافة إلى قيامه بنشر مقالٍ عن التعليم الابتدائي في "صحيفة التربية" «Journal d›Education» عام 1816م في غاية الأهمية؛ هذا المقال الذي يعتبر الأساس الذي قامت عليه التربية المقارنة،كما أعطى أمثلة للاستبيانات،واقترح إنشاء نظام دولي يساعد المؤسسات التعليمية على تحسين نظامها التعليمي،ونادى بضرورة وجود موضوعية في أبحاث التربية المقارنة،كما نادى بضرورة إنشاء لجنة خاصة للتعليم يكون عددها قليل،وتتكون من أشخاص أكْفاء مسئوليتهم جمع ما تقوم به المؤسسات بشكل عام في مختلف دول أوروبا،ووصف حال التعليم العام من خلال الاستفادة من الاستبيانات

التي أجراها،كما نادى أيضًا بضرورة إنشاء معهد عام للتعليم مخصص لإعداد معلمين أكفاء،وكتب مدرسية جيدة.

كما يعتبر أول من أدخل طريقة الوضعية Positivism أو المنهج الكمي في بحوث التربية المقارنة التي وضعت اتجاهًا جديدًا لنموذج البحوث التربوية المقارنة،واقترح الملاحظة المنهجية للظواهر التعليمية لتمييز المبادئ الشبيهة بالقانون والتي يستند إليها تحسين التعليم،كما اقترح استخدام خدمات الوحدات عبر الوطنية أو التحليلات عبر الثقافية.

مراجع البحث

(مرتبة وفقًا للترقيم داخل البحث)

(setondnE)

1-Groux D.،Porcher L.،L›éducation Comparée،Nathan،Paris،1997،p15.

2 - Debeauvais M. Van Daele(Henk): L'Education Comparée،In: Revue française de pédagogie،volume109،1994،p158.

3 – يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

– التربية المقارنة: دراسات في نظم التعليم للدكتور شبل بدران.

– التربية المقارنة "المنهج – الأساليب – التطبيقات" للأستاذ الدكتور شاكر محمد فتحي أحمد والأستاذ الدكتور همام بدراوي زيدان.

– التربية المقارنة: الأصول المنهجية ونظم التعليم الإلزامي للأستاذ الدكتور نبيل سعد خليل.

– التربية المقارنة ونظم التعليم للأستاذ الدكتور بيومي محمد ضحاوي.

– التربية المقارنة للدكتور السيد عبد القادر شريف.

– البحث التربوي المقارن فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ومصر للدكتور محمد جودة التهامي سليمان.

4- Mialaret G.،Lexique éducation،PUF،Paris،1981،p78.

5- De Paris M.- A. Jullien،Esquisse et Vues Préliminaires d'un ouvrage sur l'éducation comparée،Paris،1817،p.13.

6- Groux D.،Porcher L،L'éducation Comparée،pp.15- 16.

7- Les Philosophes.fr،Tiré de: https://www.les - philosophes.fr/auteur- montesquieu.html.

8- Cyril Arnaud: Introduction à la philosophie،2003،p155- 168.

9- Jean Marie Tremblay: Cinq mémoires sur l'instruction publique de Condorcet،Chicoutimi،Canada،2005،pp7- 10.

10- Jean Marie Tremblay: Cinq mémoires sur l'instruction publique de Condorcet،Op. cit،pp11- 186.

11- Condorcet: Rapport et projet de décret sur l'organisation générale de l'instruction publique،l'Imprimerie Nationale،Paris،1792.

12- Babelio،Tiré de: https://www.babelio.com/auteur/Guillaume - Antoine- Olivier/363669.

13- G. A. Olivier: Voyage dans l'Empire Othoman،L'Egypte et la Perse،Tome I،H. Agasse،Paris،1807.

14- César Auguste Basset،Tiré de: https://data.bnf.fr/fr/10543001/cesar- auguste_basset/

15- La Gazette Drouot،Tiré de: https://www.gazette - drouot.com/lots/3574649

16- Jennifer Marshall،Introduction to Comparative and International Education،Second Edition،2019.

17- Peter Gordon،A Guide to Educational Research،Routledge،New York،2013.

18- Jane Martin،Joyce Goodman،Women and Education،1800 - 1980،2004،p59.

19 - César Auguste Basset،Essais sur l'organisation de quelques parties de l'instruction publique،ou Réflexions sur les Inspecteurs généraux de l'Université et ceux des Académies،sur les Aspirans et l'Ecole Normale،et sur la nécessité de faire،dans les pays étrangers،des observations concernant l'Education et l'Instruction en general،l'Imprimerie de Madame Huzard،Paris،1808.

20- Jacqueline Gautherin: Marc Antoine Jullien de Paris،texte tiré de Perspectives: revue trimestrielle d'éducation comparée،Paris،UNESCO: Bureau international d'éducation،2000،pp1- 2

21-(21) Marc Antoine Jullien De Paris: Essai sur une méthode qui a pour objet de bien régler l'emploi du Temps،premier moyen d'être heureux; A l'usage des jeunes gens de l'age de 16 à 25 ans; Extrait d'un travail général،plus étendu،sur l'éducation،1ère édition،Paris،1808.

22- (22) Marc Antoine Jullien De Paris: Essai sur l'emploi du Temps; ou méthode qui a pour objet de bien régler l'emploi du Temps،premier moyen d'être heureux; destinée spécialement à l'usage des jeunes gens de 15 à 25 ans،2ème édition،Paris،1829.

23-Marc Antoine Jullien De Paris: Essai général d'éducation physique،morale et intellectuelle; suivi d'un plan d'éducation- pratique pour l'enfance،l'adolescence et la jeunesse،ou Recherches sur les principes et les bases de l'éducation à donner aux enfants des premières familles d'un Etat،pour accélérer la marche de la Nation vers la civilization et la prospérité،1ère édition،Paris،1808.

24- Marc Antoine Jullien De Paris: Essai général d'éducation physique،morale et intellectuelle،suivi d'un plan d'éducation- pratique pour l'enfance،l'adolescence et la jeunesse،ou Recherches sur les principes d'une éducation perfectionnée،pour accélérer la marche de la Nation vers la civilization،2ème édition،Paris،1835.

25- Marc Antoine Jullien De Paris: Esprit de la Méthode d'Education de Pestalozzi،suivie et pratiquée dans l'Institut d'éducation d'Yverdun،en Suisse،tome premier،de l'Imprimerie Royale،Milan،1812.

26- (26) Marc Antoine Jullien De Paris: Exposé de la Méthode d'Education de Pestalozzi،2ème edition،de l'Imprimerie de Crapelet،Paris،1842.

27-(27) Michel Debeauvais،Henk Van Daele: L'Education Comparée،Revue française de pédagogie،Volume 109،1994،p158.

28-(28) Dominique Groux،L'éducation Comparée: approches actuelles et perspectives de développement،

In: Revue française de pédagogie،Paris،n.121،1997،p111.

29-(29) Henk Van Daele: Hommage à un Précurseur Français de l'Education Comparée: Marc Antoine Jullien،Actes de la 15e conférence de la société Européenne d'Education Comparée،CESE،Dijon،1992،pp 21- 22.

30- Michel Debeauvais: De Marc - Antoine Jullien aux indicateurs comparatifs de l'an 2000،Actes de la 19e conférence de la société Européenne d'Education Comparée،CESE،Bologne،2000،p3.

31-(31) Marc Antoine Jullien De Paris: Esquisse et Vues Préliminaires d'un ouvrage sur l'éducation comparée،Paris،1817.

32-(32) Erwin H. Epstein: Is Marc- Antoine Jullien de Paris the father of comparative education? Article In: Compare،2017.

33-(33) Noah & Eckstein: Comparative Education as a field،https://ecsusteinmetzh.wordpress.com › comparative- education- as- a- field.

34- Espace Français،Tiré de: https://www.espacefrancais.com/histoire- de- la- france- au- xixe- siecle

35 - Superprof ressources،Tiré de: https://www.superprof.fr/ressources/scolaire/histoire/resume - hist10/cm2 - hist10/categories - travailleurs- histoire.html

36- la société française au xix siècle،Tiré de: http://ekladata.com/gZfXZ6e9Yp_- pRmeZvcY9ScST40/ociete- 19- eme- perso.pdf

37- Superprof ressources،Op. cit،Tiré de: https://www.superprof.fr/ressources/scolaire/histoire/resume- hist10/cm2- hist10/categories- travailleurs- histoire.html

38- la société française au xix siècle،Op. cit،Tiré de: http://ekladata.com/gZfXZ6e9Yp_ - pRmeZvcY9ScST40/ociete - 19 - eme - perso.pdf